

الظواهر اللغوية في تفسير التلخيص للكواشي المتوفى (680هـ)

الاستاذ المساعد الدكتورة ساجدة مزبان حسن

جامعة بغداد | كلية التربية | ابن رشد

التمهيد

تعريف بالمؤلف :

هو موفق الدين ابو العباس احمد بن يوسف بن رافع بن حسن بن رافع بن حسين بن
سودان الشيباني الموصللي الكواشي¹ .
والشيباني نسبة الى بني شيبان قبيلة عربية مشهورة لها بطون كثيرة² .
والكواشي نسبة الى كواشة بالفتح والتخفيف ، وهي قلعة في الموصل³ .
ولد الكواشي في (591 هـ) وتوفي في (680 هـ) وفي مدة حياته شهد العراق
والعالم الاسلامي حوادث و اضطرابات لم يرَ مثلها في سابق عهده نتيجة ظعف
الادارة وهجوم التتار على بغداد (656 هـ) وتأهب العراق والعالم الاسلامي لرد هذا
الهجوم الغاشم .

ومع هذا الاضطراب الذي يؤثر كثيراً في عدم استتباب الامن وكثرة الكوارث نجد
أن العلم لا يزال يجد العناية من اهله فينبغ في هذا العصر الكثير من العلماء والفقهاء
والمفسرين والمؤرخين فقد حفلت هذه الحقبة بعلماء كبار يصعب على الباحث
حصرهم لكثرتهم منهم الفيلسوف الطيب ابن رشد (595 هـ) والمفسر الكبير الامام
فخر الدين الرازي (606 هـ) والمؤرخ المشهور ابن الاثير (630 هـ) صاحب الكامل
وغيرهم .

فنشأ الكواشي في وسط تنافس علمي شديد لم يتوقف ولم يحد من نشاطه ما اصاب
البلاد من أحداث⁴ .

ثقافته ومؤلفاته وأهمية كتابه (التلخيص)

حصل الكواشي على قدر كبير من علوم عصره ، فقد قرأ على أبيه القرآن الكريم
وأخذ عنه القراءات⁵ .

وأخذ عن علماء عصره في كواشة وارتحل الى الشام وأخذ عن علمائها واشتغل
بالعلم .

وصفه صاحب الطبقات : ((اشتغل ، برع في القراءات والتفسير والعربية ،
والفضائل))⁶ .

¹ ينظر : ذيل مرآة الزمان 104/4 وسير اعلام النبلاء 17 / 352 وموسوعة الموصل الحضارية 31/3-34 .

² ينظر : كتاب اللباب في تحرير الانساب ص 158 .

³ ينظر : سير اعلام النبلاء 17/352 .

⁴ ينظر : مقدمة المحقق 30/1 .

⁵ ينظر : سير اعلام النبلاء 17/352 .

⁶ طبقات الشافعية 2/461-462 .

وقد أثنى العلماء على كتابه التلخيص وأسهبوا في ذكر فضائله وعلمه ونقلوا عنه كثيراً من آرائه .

ولم يكن مؤلفه الوحيد إذ له مؤلفات كثيرة منها :

- 1 -التبصرة في النحو .
- 2 -تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر في تفسير القرآن .
- 3 -روضة الناظر وجنة المناظر .
- 4 -كتاب عدد أحزاب القرآن .
- 5 -كتاب الوقوف .
- 6 -كشف الحقائق في التفسير .
- 7 -متشابه القرآن .

وغيرها كثير ⁷ .

لكتاب التلخيص في تفسير القرآن العظيم مزايا جعلته ينال ثناء العلماء واهتمامهم لأن مؤلفه من أهل الصلاح والتقوى فضلاً عن اهتمامه باللغة نحوها وصرفها وصوتها واهتمامه بالقراءات بكلام مختصر غير مخل بالمعنى بعيد عن الحشو والاسهاب .

ومن أهم ما قيل فيه قال السيوطي : ((وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلى في تفسيره ، واعتمدت عليه أنا في تكملته مع الوجيز ، وتفسير البيضاوي وابن كثير))⁸ .

وكما أكثر النقل عنه الامام بدر الدين الزركشي في البرهان في علوم القرآن ⁹ . ونقل ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر كثيراً من المسائل التي تتعلق بالقراءات الواردة في تلخيصه ¹⁰ .

أبرز الظواهر اللغوية في تفسير الكواشي

لا غرابة ان يعنى الكواشي بلغة القرآن الكريم وقد كان العصر الذي عاش فيه يمثل أزهى عصور العربية وأحفلها بالعلماء المبدعين على الرغم من الاضطراب الذي كانت تعيشه الامة آنذاك ، ومن هنا يتبين أن لا صحة لو سم عصره وما بعده بالعصور المظلمة .

وسأصنف جهده اللغوي بحسب الموضوعات وما تضمنته من قضايا أو ظواهر لغوية وهي كالآتي :

- 1 -المفردات
- 2 -الصيغ والابنية
- 3 -الجمع

⁷ ينظر : مقدمة المحقق 50-55 .

⁸ بخية الوعاة 401/2 .

⁹ ينظر : البرهان 186/1 . و331 و150/2 ، 370 .

¹⁰ سنظر : النشر 44/1 .

أولاً:- المفردات

كان الكواشي في كتابه كثير التأمل للالفاظ القرآنية والوقوف عندها محاولاً إماطة اللثام عن عدد كبير من المفردات من ذلك قوله : ((وأصل الضلال : الغيبوبة والهلاك ، من ضلّ اللبن في الماء : غاب وهلك))¹¹ . فهو يبين ما أصاب هذه اللفظة من تطور دلاليّ اذ بين أن هناك انتقالاً في الدلالة من المحسوس الى المجرد اذ انتقلت من خلط اللبن في الماء الى التيه والهلاك . وقوله : ((الصلاة : الدعاء لغة ، كقوله : (وصلّ عليهم) اي ادعُ لهم . ومن صليت العود اذا لينته ، لان المصلي يلين ويخشع في صلاته))¹² . وقوله : ((العذاب : كلّ ما يشق على الانسان ويمنعه مراده ، وأصله المنع ، ومنه الماء العذب لمنعه العطش))¹³ . ونجد الكواشي ناقداً لغويّاً اذ يفرق بين الاستعمالين للفظة الواحدة ، وينبه على صواب كل منهما في موضعه الذي استعمل فيه كما في قوله مفسراً : ((ا نؤمن كما آمن السفهاء))¹⁴ ، يقول : ((اي : الجهال وأصل السفه : الخفة والطيش ، وهو نقيض الحلم ، ومنه ثوب سفیه¹⁵ ، ويقال للصبيان والاحداث والجهال لخفة عقولهم ، ولا يقال للجاهل الساكت اللازم سفیه وانما يقال للسليط))¹⁶ ومنه أيضاً قوله : ((أصل الالقاء : طرح الشيء حيث تراه ، ثم صار اسماً لكل طرح عرفا ، قالوا : ولا يقال القى بيده الا في الشر))¹⁷ . ونلاحظ انه يفرق بين الالفاظ ويبين سبب عدول القرآن الكريم من لفظ الى آخر كما في قوله في النسيان والسهو ، قال : ((النسيان : السهو وأصلها : الترك الا ان السهو يكون لما علمه الانسان ولما لم يعلمه ، والنسيان ما عذب بعد حضوره))¹⁸ وكذلك في الخشوع والضروع اذ يقول : ((وأصل الخشوع : السكون ، مثل الضروع ، ولكن الضروع أكثر ما يستعمل في القلب والخشوع في الجوارح))¹⁹ .

¹¹ التلخيص 146/1 ، ينظر : لسان العرب / ضلل .

¹² نفسه 161/1 .

¹³ نفسه 170/1 ، وينظر: لسان العرب عذب .

¹⁴ البقرة 13 .

¹⁵ جاء في اللسان : ثوب سفیه لهلة سخيّف ، ينظر اللسان / سفه .

¹⁶ التلخيص 176/1 ، وينظر لسان العرب / سفه .

¹⁷ نفسه 137/2 ، وينظر اللسان / لقي .

¹⁸ نفسه 244/1 .

¹⁹ نفسه 247/1 .

ويحاول الكواشي ان يكون له رأي في المسألة التي يعرضها ومن ذلك قوله : ((مدّه و أمده واحد : زاده ، ومدّ له ايضاً والمدّ أكثر ما يستعمل في الخير ، والامداد في الشر))²⁰ .

ولم يذكر الكواشي ان الفعل مدّ قد يعدى بالباء اذ جاء في قوله تعالى : ((من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ))²¹ .
وقد يورد اللفظ معللاً سبب اختياره في هذا الموضوع في قوله تعالى : ((هن أمّ الكتاب)) .

((أي : أصله الذي تعمل عليه الاحكام ولم يقل أمهات جمعاً ، لانّ الآيات في الحكم بها بمنزلة آية واحدة))²² .

يقول الاخفش : ((ولم يقل أمهات كما يقول الرجل : مالي نصير فيقول : نحن نصيرك))²³ . أي كان القياس أن يقال : هنّ أمهات الكتاب لانّ دلالة الخبر تتأتى مع مطابقتها المبتدأ فأفرد الخبر مع أن المبتدأ جمع . ونلاحظ أن ما ذهب اليه الكواشي هو رأي الطبري الذي قال : ((وإنما سماهنّ أم الكتاب ولم يجمع فيقول : هنّ أمهات الكتاب وقد قال هنّ لانه أراد : جميع الآيات المحكمات أم الكتاب لا أن كلّ آية منهن أم الكتاب ولو كان معنى ذلك أن كلّ آية منهن أم الكتاب لكان لا شك قد قيل : هنّ أمهات الكتاب))²⁴ .

إن من مظاهر الاعجاز القرآني ، أنه يقوم على الايقاع الصوتي ، فضلاً عن مراعاته الفروقات في المعنى بين الالفاظ ، فيختار لها أفصح ما يلائمها وهو يراعي الفروقات الصوتية بينها²⁵ .

ومن ذلك : ((وأصل الرغبة السعة في الشيء ، فأذا قيل : رغب فيه واليه اقتضى الارادة والحرص عليه ، وإذا قيل رغب عنه اقتضى الزهد))²⁶ .
ومن ذلك ايضاً قوله : ((وليته ، ووليت اليه : أقبلت عليه ، ووليت عنه : أدبرت عنه . وأصل التولية : الانحراف والميل))²⁷ .

وقد فرق التعبير القرآني بين الآل والأهل في الاستعمال وهذا ما ذكره الكواشي في تفسير بقوله : ((وأصل آل : أهل ، أبدلت هاؤه همزة وآل مختص بنوي الاقدار فلا يقال آل الزبال))²⁸ .

لقد عنى الكواشي شأنه شأن اللغويين بموضوع صلة اللفظ بمعناه كقوله : ((من فورهم)) وأصله الغليان والتحريك ، وجميع المستعمل من تعاكيس (فاء ، واو ، راء) يشملها معنى الحركة والاضطراب²⁹ .

²⁰ نفسه 197/1 .

²¹ الحج 15 .

²² التلخيص 15/3 .

²³ معاني القران للاخفش 193/1 .

²⁴ جامع البيان 231/3 .

²⁵ ينظر : مفهوم الاعجاز القرآني 284-285 .

²⁶ التلخيص 404/1 .

²⁷ التلخيص 25/2 .

²⁸ التلخيص 252/1 .

ومن تطور دلالة الالفاظ من العام الى الخاص لفظة (السوم) يقول الكواشي : ((أصل السوم :الذهاب والابتغاء ، منه سامت الابل : ذهبت في المرعى حيث شاءت ، وسمته كذا أبغيته إياه وألزمته به))³⁰ .
ونراه يردّ على من يحاول أن يوجه اللفظ غير الوجه الموضوع له في اللغة فمثلاً ما جاء في قوله تعالى : ((وباءوا بغضب من الله))³¹ . بقوله : ((الابدال والتبديل والتبدل والاستبدال :جعل شيء مكان غيره ، وهو أعم من العوض ، لأنّ العوض هو أن يصير لك الثاني باعطاء الاول ، والتبديل يكون بمعنى التغيير ، وإن لم يؤخذ بدله ، وزعم بعضهم أنه لا يقال (باء) الا بالشر وفي الدعاء : (أبوء بنعمتك وأبوء بذنبي)³²))³³ .

ثانياً :- الصيغ والابنية

لقد عنى موفق الدين الكواشي في تفسيره بالاشارة الى البناء الذي وردت عليه المفردة فعلاً كانت أو اسماً كما دأب على بيان المعنى الذي يؤديه البناء أو الصيغة . من ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : ((كونوا قردة خاسئين))³⁴ ، قال : ((أصل الخساء : الطرد والابعاد ، يستعمل متعدياً ولازماً . خسأته خساً وخسا خسوء كرجعته رجعاً ورجع رجوعاً))³⁵ .
ومن مصادر الافعال الثلاثية القليلة الاستعمال ما جاء على وزن (تفعلة) مثل التهلكة في قوله تعالى : ((ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة))³⁶ .
يقول الكواشي : ((أي : الهلاك أو : التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه ، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه))³⁷ .
ويقول الراغب الاصفهاني فيها : ((ما يؤدي الى الهلاك))³⁸ .
جاء في اللسان : ((التهلكة من نواذر المصادر ليست مما يجري على القياس))³⁹ وقد بلغ من ثقافته اللغوية أنه يذكر المصدر منبهاً على عدم مجيء فعل له ، وهذا يدل دلالة قاطعة على اعتماده السماع إذ قد يذكر المصدر ولا يذكر فعله معللاً ذلك بقوله : ((ويل كلمة يقولها كلّ واقع في هلكة ، بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب ، وهو مصدر في الاصل ولم يستعمل له فعل لان فاءه وعينه معتلتان))⁴⁰ .

²⁹ التلخيص 188/3 .

³⁰ التلخيص 254/1 .

³¹ البقرة 61 .

³² صحيح البخاري 209/2 .

³³ التلخيص 282/1 .

³⁴ البقرة 65 .

³⁵ التلخيص 294/1 .

³⁶ البقرة 195 .

³⁷ التلخيص 138/2 .

³⁸ مفردات الراغب 545 .

³⁹ لسان العرب / هلك

⁴⁰ التلخيص 315/1 .

ومن ذلك ما جاء على (افعل فعلى) مثل أول ، يقول : ((ووزن أول أفعل ، ومؤنثه أولى وأصلها وولى قلبت الواو همزة ، ففاؤها وعينها واوان عند سيبويه ولم ينصرف منها فعل لأعتلال فائها وعينها))⁴¹ .

وقد يشير الى أن لغات القبائل سبب في ورود مادة لغوية على صيغتين أو أكثر كقوله : ((وقرئ (لمثوبة) ⁴² كمثورة ومثورة لغتان ، وهما مصدر من الثواب))⁴³

ومن الابنية ذكره بناء فُعْلة يحول الى مفعول فيصح ان تكون (عُرْضة) بمعنى (معروضة) في قوله : ((والعُرْضة : فُعْلة بمعنى مفعول : اسم لما يعرض حاجزاً بين شيئين ، والعُرْضة أيضاً : كلّ ما يعترض فيمنع عن الشيء وأصلها الشدة ، ومنه الدابة المتخذة للسفر عرضة لقوتها))⁴⁴ .

وهي من الصيغ التي تدل على مفعول وهنا أفادت المبالغة جاء في لسان العرب : ((فلانة عرضة للازواج أي قوية على الازواج ، وفلان عرضة للشرّ أي قوي عليه))⁴⁵ .

ويذكر أن هناك الفاظاً شذت عن القياس في أسماء الزمان والمكان في قوله تعالى : ((فول وجهك شطر المسجد الحرام))⁴⁶ . اذ قال : ((والمسجد بالكسر موضع السجود ، وللذي يصلّى فيه شاذاً قياساً لا استعمالاً ، وبالفتح المصدر ، لأنّ ما كان على فعل يفعل كجلس يجلس فالموضع بالكسر والمصدر بالفتح ، فرقاً بين المصدر والاسم وما كان على فعل يفعل كسجد يسجد فالمفعل منه بالفتح مصدر كان او اسماً الا ما شذ قياساً ، كالمسجد والمشرق والمغرب والمطلع والمسكن وقد سمع فيها وفي الذي يصلّى فيه وموضع السجود الفتح))⁴⁷ .

جاء في شرح الرضي على الشافية : ((قال سيبويه : لم تذهب بالمسجد مذهب الفعل ولكنه جعلته اسماً لبيت ، يعني انك أخرجته عما يكون عليه اسم الموضع وذلك لان تقول المقتل في كل موضع يقع فيه القتل ولا تقصد به مكاناً دون مكان ولا كذلك المسجد فأنتك جعلته اسماً لما يقع فيه السجود بشرط أن يكون مبنياً على هيئة مخصوصة ... ولو أردت موضع السجود وموقع الجبهة من الارض سواء كان في المسجد أو غيره فتحت العين لكونه اذاً مبنياً على الفعل بكونه مطلق كالفعل))⁴⁸ .

ومن الصيغ التي تدل على مفعول وتفيد الدلالة على القدر ⁴⁹ (الخُطوة) في قوله تعالى : ((ولا تتبعوا خطوات الشيطان))⁵⁰ .

⁴¹ نفسه 238/1 .

⁴² البقرة 103 .

⁴³ التلخيص 358/1 .

⁴⁴ نفسه 238/2 .

⁴⁵ لسان العرب / عرض .

⁴⁶ البقرة 144 .

⁴⁷ التلخيص 16/2 .

⁴⁸ شرح الرضي على الشافية 184/1 وينظر الكتاب 348/2 .

⁴⁹ ينظر درة الغواس 171 .

⁵⁰ البقرة 168 .

قال الكواشي : ((أي : آثاره وطرقه وأصلها من الخطوة بضم الخاء ، وهي ما بين رجلي الخاطي ، وربما فتحت الخاء لغتان ، أو بالفتح : المرة الواحدة ، والضم اسم لما بين رجلي الخاطي ، ثم استعمل في الاقتداء ، وإن لم يكن ثم خطو يقال : اتبع خطوات فلان ، ومشى على عقبه إذا استن بسنته))⁵¹ .

فهو في هذا النص فضلاً عن ذكره اللغات الواردة في اللفظ فنراه يوضح دلالة هذا اللفظ وكيف أصابه التطور فهو بيّن لنا انتقال الدلالة من الملموس الى المحسوس إذ تطورت هذه اللفظة من ما بين رجلي الخاطي من خطوات الى الاستئان بسنة فلان والاهتداء بهديه .

ومما تقدم يتبين لنا عناية الكواشيّ بمعاني الابنية ودلالاتها التي ترد عليها ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى : ((بديع السموات والارض))⁵² قال : ((أي مبدعهما ، كسميع بمعنى مسمع وفعله أبدع ، أي خالقها على غير مثال سبق ومنه البدعة))⁵³

وقد توقف على اسم الهيئة (صبغة) عارضاً المعاني الواردة في اللفظ : ((والصبغة : فعلة من الصبغ ، كالجلسة من جلس وسمي الدين صبغة لظهوره على الانسان كظهور الصبغ على الشيء ، أو الصبغة : الختان ، لانه يصبغ صاحبه بالدم ، لانهم كانوا يغمسون أولادهم في اليوم السابع في ماء أصفر يسمونه المعمودية بدل الختان ، ويقولون الآن صار نصرانياً حقاً))⁵⁴ .

ومن الجدير بالذكر أن مصدر المرة والهيئة (لا يوجد نظيرهما في كل اللغات السامية))⁵⁵ .

ثالثاً :- الجمع

قد يذكر الكواشيّ في تفسيره جموع بعض المفردات وفي أحيان أخرى يذكر مفردات هذه الجموع منبهاً على أصلها ، والخلاف الذي وقع فيها عارضاً الى أوزانها أحياناً ففي قوله تعالى : ((فسواهن سبع سموات))⁵⁶ ، قال : ((والسماء جمع جمع سماوة كجراد ثم جرادات ثم جرد))⁵⁷ .

جاء في اللسان : ((السماء التي تظل الارض أنثى عند العرب لانها جمع سماء ... والسماء أصلها سماوة))⁵⁸ .

وفي الجمع يفرق بين المعنى المادي والمعنى المعنوي للجمع ففي تفسيره لقوله تعالى : ((على أبصارهم غشاوة))⁵⁹ ، يقول : ((أبصار جمع بصر ، وهو نور

⁵¹ التلخيص 60/2 .

⁵² البقرة 117 .

⁵³ التلخيص 382/1 .

⁵⁴ نفسه 419/1 .

⁵⁵ التطور النحوي 67 .

⁵⁶ البقرة 29 .

⁵⁷ التلخيص 215/1 .

⁵⁸ اللسان / سما

⁵⁹ البقرة 7 .

العين ، تبصر به الاشياء كالبصيرة نور القلب تدرك به الاشياء))⁶⁰ ، ويقول : ((والنصارى جمع نصرانيّ ، رجل نصران وامرأة نصرانية ، ياؤه للمبالغة كأحمري ، سموا بذلك لنصرهم عيسى (عليه السلام) أو لنزولهم قرية يقال لها نصره))⁶¹ . وقوله : ((قِرْدَة جمع قرد ، وأصله : التلبّد واللصوق ومنه القراد ، والمكان القرد المتلبّد))⁶² .

ويبين مفرد الجمع وأصله كقوله : ((والصابيئِن))⁶³ ، جمع صابئ ، لخروجه من الدين ، أصله من صبأ ناب البعير : خرج))⁶⁴ . وقوله : ((الاماني واحدها أمنية ، أفعولة من التمني كأضحوكة ، وأصلها : التقدير والنظر من منى يماني : قَدَر))⁶⁵ .

ويحاول الكواشي أن يبين نوع الجمع أحياناً وكثرته وقلّته من ذلك قوله : ((واليتامى : جمع يتيم ، وهو من لا أب له ، وفعل على فعالي قليل))⁶⁶ . ويلحظ على الكواشي أنه يحاول أن يستقصي أغلب مفردات الجمع الواحد من ذلك قوله : ((عُلف ، جمع غلاف وهو الوعاء ... أو جمع أغلف كأحمر ، وهو الذي عليه غشاوة))⁶⁷ . ومنه أيضاً قوله : ((الهدى : جمع هديّة ، والهدي بتخفيف الياء مصدر في الاصل ، وهو كلّ ما يهدى الى البيت تقرباً الى الله . وقرئ : الهدى جمع هدية كمطية ومطي والمراد هنا : النعم))⁶⁸ .

وكذلك قوله : (((في ظلل) جمع ظلّة وهي ما أظل ، والمراد : السحاب ... وقرئ ظلّال جمع ظلّة كقلاة وقلال أو جمع ظل))⁶⁹ ، ومنه : ((آناء الليل))⁷¹ يقول : ((أي ساعاته ، جمع إني كنجي وأنحاء ، ويقال إنا كمعا ، وأنا كعصى وإنو كقنو))⁷² .

ويبين أن جمع القلّة وضع موضع جمع الكثرة لاشتراكهما في الجمع وذلك أن العرب وضعت أحد البنائين صالحاً للقلّة والكثرة فاستغنت عن وضع الآخر ومنه قوله : ((قروء جمع قرء بفتح القاف وقد يضم ، جمع على فعول جمع كثرة وقياسه أن يجمع على أفعال جمع قلة ، نظراً الى أن لكل مطلقة ثلاثة أقرء وهنّ كثير . أو وضع جمع الكثرة موضع جمع القلّة لاشتراكهما في الجمع ، والقراء الطهر عند

⁶⁰ التلخيص 170/1 .

⁶¹ نفسه 285/1 .

⁶² نفسه 238/1 وينظر لسان العرب / قرد .

⁶³ البقرة 62 .

⁶⁴ التلخيص 285/1 .

⁶⁵ التلخيص 315/1 .

⁶⁶ نفسه 322/1 .

⁶⁷ نفسه 336/1 .

⁶⁸ نفسه 146/2 ، 147 .

⁶⁹ البقرة 210 .

⁷⁰ التلخيص 187-186/2 .

⁷¹ آل عمران 113 .

⁷² التلخيص 175/3 .

الشافعي ومالك والفقهاء السبعة . وعند أبي حنيفة وغيره الحيض لانه اسم للطهر والحيض ((⁷³ . أي أنه ينبه على أنه من الاضداد .
 وقوله : ((بعولتهن))⁷⁴ ، جمع بعل ، وهو الزوج سمي بذلك لقيامه بأمر الزوجة ، والبعال : النكاح زيدت فيه التاء لتأنيث الجمع ، كالحزونة))⁷⁵ .
 وفي قوله تعالى : ((ولكن كونوا ربانيين))⁷⁶ ، يقول : ((جمع رباني ، منسوب الى الربّ تعالى بزيادة الالف والنون كرقباني ومعناه : المبالغ في طاعة ربّه ، أو : مربّي العلماء بصغار العلم قبل كباره))⁷⁷ .

رابعاً :- المذكر والمؤنث

لقد نبّه الكواشي في تلخيصه على طائفة من الكلمات التي تذكر وتؤنث فبذلك يُعدّ من اللغويين الذين عنوا بهذا الموضوع الذي سبقه الى هذا الفراء والمبردّ وابو بكر ابن الانباريّ وابن فارس وابو البركات الانباريّ .
 جاء في التلخيص في تفسير قوله تعالى : ((وكنتم على شفا حفرة من النار))⁷⁸ ، وقوله : ((شفا الشيء : جانباه ، فلامه في المؤنث محذوفة وفي المذكر ثابتة منقلبة عن واو))⁷⁹ .

جاء في اللسان : ((وشفت الشمس تشفو : قاربت الغروب ، والكلمة واوية ويائية وشفى الهلال :طلع))⁸⁰ .

ويعرض الى مسألة تأنيث الانجيل وتذكيره بقوله : ((ويؤنث الانجيل نظراً الى الصحيفة ، ويذكر نظراً الى الكتاب ... والانجيل أفعيل من نجل الشيء رمى به ، لانه رمى بالباطل وأبعده . أو من السعّه ، ومن طعنة نجلاء ، وعين نجلاء ، لان فيه سعة ليست في التوراة))⁸¹ .

ونرى الكواشي يحاول ان يضم صوته الى اراء العلماء في ان انجيل ليس بعربي بقوله : ((ويقوي هذا ما قرء انجيل بفتح الهمزة ، لانه ليس في كلام العرب افعيل))⁸² .

ونراه يفرق بين الجمع والواحد من خلال ال التعريف فهي تكسب اللفظ أفراداً أما إذا خلا منها يصلح أن يكون للمفرد والجمع فيقول : ((الريح : أعظم جند الله تعالى تذكر وتؤنث . كلّ ريح في القرآن ليس فيه الف ولا م انتفقوا على توحيدها وما فيه الف ولا م فالقراءة فيه جمعاً وتوحيداً الا (الريح العقيم) في الذاريات فالقراءة

⁷³ نفسه 252/2-253 .

⁷⁴ البقرة 228 .

⁷⁵ التلخيص 255/2 .

⁷⁶ آل عمران 79 .

⁷⁷ التلخيص 128/3 .

⁷⁸ آل عمران 103 .

⁷⁹ التلخيص 156/3 .

⁸⁰ اللسان / شفي

⁸¹ التلخيص 10/3 ، وينظر لسان العرب / نجل .

⁸² التلخيص 11/3 ، وينظر لسان العرب / نجل وهو رأي الزجاج .

بتوحيده))⁸³ . ورأيه هذا يخالف رأي العلماء الذين نصوا على تأنيثها هي
واسمائها⁸⁴ .

جاء في اللسان : ((العرب تقول لا تلتح السحاب الا من رياح مختلفة ، يريد :
اجعلها لقاحاً للسحاب ولا تجعلها عذاباً ، ويحقق ذلك مجيء الجمع في آيات الرحمة
، والواحد في قصص العذاب : كالريح العقيم ، وريحاً صرصراً وفي الحديث الريح
من روح الله أي من رحمته بعباده))⁸⁵ .

خامساً : - الاختلاف في أصل الكلمة

1- آدم : عرض الكواشي للفظ آدم عند تفسيره لقوله تعالى : ((وعلم آدم))⁸⁶
بقوله : ((مشتق من الادمة : السمرة أو من أديم الارض : وجهها . وكنيته :
أبو البشر ووزنه : أفعل ، ولو كان وزنه فاعل لانصرف))⁸⁷ . نرى موفق
الدين الكواشي يبين صلة اللفظ بمدلوله ويبين وزنه والخلاف الذي حدث في
ونراه يرجح الوجه الاول وهو أن وزنه أفعل لا فاعل ، ذهب البصريون
منهم الخليل وسيبويه⁸⁸ الى أن آدم كلمة عربية على زنة (أفعل) مستأنسين
بعروبته أنها مشتقة من أديم الارض ، أما الزمخشري فقد ذهب الى أن آدم
اسم اعجمي على وزن فاعل ك آدر⁸⁹ ونلاحظ أن الكواشي ذهب مذهب
البصريين معللاً أنه لو كان على وزن فاعل لانصرف .

2- ذرية : على وزن فعلية في أحد أوزانها وهو من الأوزان النادرة في اللغة
قال تعالى : ((وله ذرية ضعفاء))⁹⁰ ، قال الكواشي : ((ذرية من ذراً
بمعنى خلق ، فوزنها فعولة وأصلها ذروءة فأبدلت الهمزة هاءً تخفيفاً فبقيت
ذروية ثم ادغمت الواو في الياء بعد القلب . وان جعلتها من الذرّ : التفريق ،
فوزنها فعلية أو فعولة وأصلها ذريرة أو ذرورة فأبدلت الراء الثانية ياءً
لكثرة الراءات ثم ابدلت الواو ياءً ثم ادغمت في الياء ، وكسرت الراء لتصح
الياء الساكنة))⁹¹ . والصواب أنها إذا كانت من ذراً فوزنها فعولة جاء في
اللسان : ((قال بعض النحويين : أصلها ذرورة وهي فعولة ، لكن
التضعيف لما كثر ابدل من الراء الاخير فصارت ذروية ثم ادغمت الواو في
الياء فصارت ذرية))⁹² . ومن موازنة نصّ الكواشي وصاحب اللسان
يتبين لنا أن الكواشي كان واهماً في أحد وزني ذرية إذ ذكر أن وزنها فعولة
إذا كانت من ذراً والحق انها على وزن فعولة وهذا بين من خلال نصّ

⁸³ التلخيص 51/2 .

⁸⁴ المذكر والمؤنث لأبن التستري 78 .

⁸⁵ لسن العرب / روح .

⁸⁶ البقرة 31 .

⁸⁷ التلخيص 220/1 .

⁸⁸ ينظر : العين 88/8 ، والكتاب 549/3 .

⁸⁹ ينظر الكشاف 372/1 .

⁹⁰ البقرة 266 .

⁹¹ التلخيص 377/2 .

⁹² اللسان / ذرر .

صاحب اللسان . ونرى أن الوزن الراجح عند علماء العربية هو فُعَلِيَّة كما قالوا سُرِّيَّة⁹³ .

3- شيطان : تطرق الكواشي إلى أصل الاشتقاق في هذه اللفظة من خلال الآية الكريمة : ((واذا خلوا إلى شياطينهم))⁹⁴ ، قائلاً : ((الشيطان : العاتي والتمرد من الجن و الانس والدواب ونونه أصلية من شطن : بعد ، لبعده من رحمة الله تعالى ، أو زائدة من شاط يشيط : احترق))⁹⁵ ، فالكواشي ارتبطت المسألة عنده بالدلالة ، فهو يرى أن أصل الاشتقاق في شيطان يعود إلى معناه الدلالي ، فإن أريد به البعد فهو من شطن . وإن أريد به البطل والهلاك والاحتراق فهو من شاط .

والراجح عند صاحب اللسان الوجه الاول أي أن نونه أصلية من شطن⁹⁶ .

4- تابوت : ووزنه فعلوت في أحد وأزانه التي ذكرها العلماء . وهو من الاوزان النادرة الاستعمال والمهجورة (ولم نجد من علماء الصرف من يذكر هذا الوزن ضمن الاوزان التي يبني عليها المصدر)⁹⁷ . قال الكواشي مستعرضاً أوزان هذه اللفظة : ((زعم بعضهم أن التابوت فعلوت من التوب : الرجوع ... وبعضهم أنكر هذا وقال : المعنى لا يساعده إنما يشتق إذا صح المعنى وإنما هو فاعول ويعضد هذا ما قرئ تابوه بالهاء))⁹⁸ . ويتبين لنا أن هذه المادة موجودة في المعجم في فصلين الاول (تبت) والثاني (توب) وحجة من ذكرها في فصل (تبت) أن تاءه أصلية ووزنه فاعول وهذا رأي ابن بري⁹⁹ .

وهناك وزن أغفله الكواشي وورد عند العلماء وهو أن وزن تابوت فعلوة مثل ترقوة فلما سكنت الواو تلبت الهاء تاءً¹⁰⁰ ، وينقل لنا صاحب اللسان رأي أبي بكر بن مجاهد (324هـ) الذي كان أول من اختار السبعة وقرءاتهم من بين القرءاء الكثيرين والقراءات الكثيرة التي شاعت في الامصار الاسلامية ورأي ابن مجاهد أن التابوت بالتاء قراءة الناس جميعاً ، أما بالهاء (تابوه) فهي لغة الانصار¹⁰¹ .

الخلاصة

⁹³ ينظر نفسه / ذرر .

⁹⁴ البقرة 14 .

⁹⁵ التلخيص 177/1 ، وينظر الكتاب 11/2 والمقتضب 12/4 .

⁹⁶ ينظر اللسان / شطن .

⁹⁷ ينظر مصادر الافعال الثلاثية في اللغة العربية 201 .

⁹⁸ التلخيص 328-327/2 .

⁹⁹ ينظر اللسان / تبت / توب .

¹⁰⁰ ينظر : نفسه / توب .

¹⁰¹ ينظر : نفسه / توب .

أما بعد فقد حاولنا في هذا البحث أن نقرب من الكواشي اللغوي ، وقد تبين لنا بعد هذه الجولة في فكره اللغوي ، أنه أحد أعلام عصره في ميدان اللغة ، إذ نبّه على ما يقع في الكلام من خطأ لغوي ، إذ كانت له مشاركة واضحة في هذا الامر ، إذ حفل كتابه التلخيص بملاحظات يتعلق بعضها بما وجد في كلام معاصريه من لحن أو خطأ .

ونراه يحاول استقصاء كلّ ما قيل في المسألة التي يعرض لها ففي موضوع الصيغ والابنية نرى عناية واضحة من لدنه بالأشارة الى البناء الذي وردت عليه المفردة فعلاً كانت أو اسماً ، كما دأب على بيان المعنى الذي يؤديه البناء او الصيغة وكذلك في الجموع والمذكر والمؤنث والاختلاف في أصل الكلمة .

وفي الختام نستطيع القول أن هذا البحث يُعدّ أول من تناول هذا العالم الجليل صاحب العلم الجَمِّ وأماط اللثام عن جانب من شخصيته المتعددة مناحي العلم والاهتمام عسى أن نفيه حقّه الذي غمطه التاريخ حيناً من الدهر .

مصادر البحث ومراجعته

- القران الكريم
- البرهان في علوم القران للزرکشي تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ط 1 1957 دار احياء الكتب العربية
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ت 911هـ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، لبنان ، بيروت .
- التطور النحوي للغة العربية ، براجستر اسر ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط 4 2003 م .
- التلخيص في تفسير القران العظيم ، موفق الدين ابي العباس احمد بن يوسف الموصللي المعروف باكواشي (680هـ) دراسة وتحقيق الدكتور محي هلال السرحان ، سلسلة احياء التراث الاسلامي 79 ، 2007 .
- جامع البيان عن تأويل آي القران للطبري ابي جعفر محمد بن جرير ، دار الفكر بيروت ، لبنان 1405هـ .
- درة الغواص في اوهام الخواص لأبي محمد القاسم بن علي الحريري ، مكتبة المثني بغداد .
- ذيل مرآة الزمان لليونيني ت 726هـ ، مطبعة حيدر اباد الهند 1954م .
- سير اعلام النبلاء للذهبي ت 748هـ ، تحقيق شعيب الارناؤط و محمد نعيم العرقسوس ، ط9 ، 1413هـ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .
- شرح الرضي على الشافية ، الرضي الاستربادي 686 هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر 1951 م .

- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري 256 هـ ، تحقيق مصطفى اديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة بيروت ، ط3 ، 1987 م .
- طبقات الشافعية لأبن قاضي شهبة ت 851 هـ ، تحقيق الحافظ عبد العليم خان ، بيروت ، عالم الكتب ط1 ، 1407 هـ .
- العين للخليل بن احمد الفاهيدي ت 175 هـ ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد 1981 م.
- الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر 180 هـ تحقيق عبد السلام محمد هارون دار القلم ، القاهرة 1966 م .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت
- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور 711 هـ ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت
- المذكر والمؤنت لأبن التستري الكاتب ت 361 هـ ، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور احمد عبد المجيد هريدي ، ط1 1983 م ، مكتبة الخناجي ، القاهرة .
- مصادر الافعال الثلاثية في اللغة العربية دراسة وصفية تاريخية ، آمنة صالح الزعبي ، مؤسسة رام للتكنولوجيا والكمبيوتر ، عمان ط1 ، 1996 م .
- معاني القرآن للاخفش ابي الحسن سعيد بن مسعدة 215 هـ - دار البشير ط3 ، 1981 م .
- المفردات في غريب القرآن لابي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ، طهران
- مفهوم الاعجاز القراني حتى القرن السادس الهجري للدكتور احمد جمال العمري ، دار المعارف ، القاهرة ، 1984 م .
- المقتضب لابي العباس محمد بن يزيد المبرد 285 هـ ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت د.ت